

## التداعيات النفسية والتربوية

# على التعليم الرسمي في لبنان بعد عام ونصف

## على حرب تموز ٢٠٠٦



الدكتور فوزي أيوب  
باحث وأستاذ في كلية التربية  
في الجامعة اللبنانية

بعد حوالي سنة ونصف على الحرب المدمرة التي ضربت لبنان في تموز ٢٠٠٦ وعرضته نخنة قاسية، يبدو من المهم لنا أن نتساءل عن الانعكاسات النفسية والتربوية لهذه الحرب على الواقع التعليمي اللبناني بوجه عام، وعلى واقع المدرسة الرسمية بوجه خاص، وذلك من خلال تسليط الضوء على البصمات التي تركتها الحرب في شخصية التلميذ اللبناني وتحصيله الدراسي.

### التلميذ اللبناني وصدمة الحرب

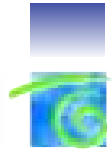
(ترميزها) وتحليل أبعادها، ولذلك كان من الطبيعي أن يتعرض الكثير من الأطفال والتلاميذ والافراد عموماً في لبنان لضغوط ما بعد صدمة الحرب (Post trauma stress disorder) إضافة إلى اضطرابات نفسية أخرى نذكر منها ما يأتي:

- الخوف أي الخوف الذي ليس له موضوع فعلي (Phobie).
- القلق العام.
- الاكتئاب والشعور بالضيق والتبرم.
- الشرود الذهني وقلة التركيز.
- الانطواء على الذات.
- العدوانية تجاه الآخر أو تجاه الذات.
- فقدان الشهية للأكل.
- ارتفاع ضغط الدم وضيق التنفس ورعشة اليد ذات المنشأ النفسي... الخ.

هذه الحالات النفسية المرضية يمكن ملاحظتها في البيوت والمدارس والمراكز العلاجية كما في حالة فتاة جنوبية مرهقة استشهدت أمها في الحرب فاستولت عليها كوابيس الفاجعة العائلية وصارت تعاني من رجفة وتشنج واضطراب في النوم حتى أصبحت غير قادرة على الدرس وهي عرضة للرسوب والفشل الدراسي ما لم تجد مخرجاً من أزمتها<sup>(١)</sup>. ولعل ما يخفف من تبعات النفسية السلبية لحرب تموز ٢٠٠٦ ظهور حالة استثنائية من الصمود في وجه العدوان الإسرائيلي. فقد لاحظ أكثر من فريق نفسي متخصص أن تجربة اللبنانيين مع الحرب كانت مختلفة نسبياً من "الناحية النفسية" بفضل استبسال المقاومة وتضامن اللبنانيين، ما أدى إلى التخفيف من

إنطلاقاً من إجمالي عدد القتلى والجرحى الذين سقطوا خلال حرب تموز ٢٠٠٦، وإذا اعتبرنا أن ثلث ضحايا الحرب، من زاوية ديموغرافية، هم من الصغار والفتيان، فإن من المرجح أن يكون حوالي خمسمئة من هؤلاء قد إستشهدوا، فضلاً عن ألف وخمسمئة من الجرحى أو المصابين. ومن الطبيعي، في حالة كهذه، أن تفضي الحسائر البشرية للحرب إلى "إصابات نفسية" موازية لها مفاعيلها بين أطفال لبنان وتلاميذه، وهذه الإصابات تقوى كلما كانت الحسائر البشرية أكبر، وكلما كان حجم الدمار والنزوح عالياً. وبحسب الدكتور عدنان حب الله رئيس المركز العربي للدراسات النفسية والتحليلية والذي أدار مركزاً للعلاج النفسي في مدينة صور عقب الحرب، فإن حوالي ثلث الشعب اللبناني عانى من حالة عصاب اكتئابي وخوف وقلق بعد الحرب، كما أن معظم سكان جنوب لبنان ( حوالي مليون شخص ) تعرّض لتأثيرات الحرب وصدمتها بهذا القدر أو ذاك تبعاً لدرجة القرب من ساحة الحرب أو البعد عنها.<sup>(٢)</sup>

وكانت دراسات الحروب والكوارث (Rubonis & Bickman 1991) قد بيّنت عالمياً أن الاضطرابات النفسية ترتفع بنسبة ١٧٪ بعد الأحداث الصادمة، وتتخذ أشكالاً متنوعة بحسب شدة التعرّض للخطر. وقد أظهرت عمليات الدعم والعلاج النفسي بعد الحرب أن الصغار كانوا هم الفئة الأكثر تضرراً من الناحية السيكلوجية، وظهرت لدى الكثيرين منهم ما يمكن تسميته "بعقدة الطائرة" في مناطق القتال. إن الطفل لا يمتلك المفاهيم والكلمات اللازمة لإدراك معنى الحرب



آثار العدوان على مدرسة الخيام الرسمية.

### التأثيرات التربوية للحرب على التلميذ اللبناني

إذا كان الأطفال والمراهقون قد دفعوا فاتورة حرب تموز ٢٠٠٦ من صحتهم النفسية، فإنهم يدفعون فاتورتها أيضاً من تحصيلهم الدراسي لهذا العام وربما لسنوات لاحقة خاصة وأن معظم مدارس لبنان لا يوجد فيها متخصصون في الإرشاد النفسي-المدرسي يمكن أن يساعدوا في تدارك التداعيات الدراسية السلبية للحرب. فكثير من أطفال الروضة وتلامذة التعليم العام والجامعة استشهدوا في الحرب أو أصيبوا بجروح أو إعاقات شكلت صدمة لإخوتهم وزملائهم قد تصرفهم عن التركيز على عملية التعلم. وتلامذة آخرون دمرت مدارسهم أو انتقلوا إلى مدارس أخرى جديدة. وبحسب الإحصاءات المتداولة فإن الحرب أدت إلى تدمير كلي لأربعين مدرسة كما تضررت منها أكثر من ٣٠٠ مدرسة أخرى<sup>(٤)</sup>. وتظهر نتائج التلامذة في امتحانات السنة الدراسية الماضية أن هناك تراجعاً في مستوى العلامات يتركز خصوصاً في المرحلتين المتوسطة والثانوية، أي بين صفوف المراهقين والمراهقات من تلامذة لبنان. وبسبب التوتر السياسي الداخلي وانعكاساته السلبية على الأسر اللبنانية، فإن درجة إقبال التلميذ على التعلم لا بد أن تتراجع ويقل معها اهتمامه بشرح الدروس، ولا مناص تبعاً لذلك من تراجع قليل أو كثير في العلامات التي يحصل عليها<sup>(٥)</sup>.

بدأت الآثار المدرسية للحرب تظهر على التلامذة منذ بداية العام الدراسي السابق (٢٠٠٦-٢٠٠٧) عندما لاحظ المعلمون مشاكل عديدة لدى التلميذ لم تكن مألوفة سابقاً. فبعد مرور حوالي ثلاثة شهور على ابتداء العام الدراسي بدأت تظهر آثار دراسية مباشرة على التلامذة تمثلت بتراجع في التحصيل العلمي مقارنة مع ما كانوا عليه في الفترة نفسها من العام السابق. وقد ظهرت هذه الآثار على

وطأة الحرب وصدمتها وشكل تعويضاً معنوياً (استعادة الكرامة) لولاه لكانت المصيبة أكبر. ويبدو في هذا السياق أن ثقافة الصمود والتضامن التي رافقت الحرب قد لعبت دوراً مهماً في استيعاب عوارض الصدمة الناجمة عنها، وهو ما ردفته الثقافة الدينية التي شددت من أزر أهل الجنوب اللبناني في وجه العدوان ورفعت معنوياتهم. فمجالس العزاء الحسينية تركت آثاراً إيجابية مهدئة للنفوس التي لفها الحزن. والعبرة الصريحة من تلك المجالس هي أنه لا سقف للعذاب أعلى من سقف مأساة كربلاء، وكل ما دون ذلك يهون حتى عندما يصل إلى الاستشهاد والموت<sup>(٦)</sup>.

ولكن مهما تكن قوة العوامل المخففة لصدمة الحرب فقد كان لا بد من تقديم العون النفسي للحالات المصدومة عبر وسائل متنوعة منها الوسائل التفريجية القائمة على تفريغ شحنة الحرب من داخل التلاميذ، والوسائل العلاجية النفسية، والوسائل الطبية الدوائية. وتبعاً للوسيلة المستخدمة برزت الحاجة إلى تدخل كل من الطبيب النفسي (Psychiatre) والمعالج النفسي (Psycho-thérapeute)، والأخصائي النفسي (Psychologue) والمرشد النفسي المدرسي (Psychologue scolaire)

إن العلاج النفسي التفريجي هو أكثر وسائل الدعم النفسي شيوعاً في لبنان. وتعتمد عملية تفريغ توتر الحرب من وجدان التلاميذ والصغار عموماً على حوالي عشرين تقنية لا مجال لذكرها الآن. أما العلاج الدوائي الطبي فإنه يتركز على البالغين أساساً، والمراهقين أحياناً ولا يتم استخدامه عند الأطفال إلا في الحالات القصوى. وأكثر أدوية الأعصاب استخداماً في الوقت الحاضر هي المهدئات (في حوالي ٦٠٪ من حالات العلاج) تليها أدوية الاسترخاء المضادة للتوتر النفسي (حوالي ٢٠٪) وصولاً إلى أدوية الإكتئاب (حوالي ٢٠٪).

وفي مواجهة المشكلات النفسية المرتبطة بحرب تموز ٢٠٠٦ الماضية شهد لبنان حملة دعم نفسي واسعة النطاق للأطفال والمراهقين والتلاميذ شاركت فيه جمعيات ومؤسسات خاصة ورسمية لبنانية ودولية مع تفاوت كبير في حجم الدعم ونوعيته. بعض الهيئات تدخل بصورة مؤقتة وأنهى عمله قبل نهاية ٢٠٠٦، وبعضها كان تدخله متوسط الأهمية، بينما تدخلت هيئات أخرى بصورة فعالة وخاصة منظمة اليونيسيف، ومكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في بيروت، ووزارة التربية والمركز التربوي للبحوث والإنماء، ووزارة الشؤون الاجتماعية، والجامعة اليسوعية، وجمعية المبرات الخيرية، والمجلس الأعلى للطفولة، ومجموعة صامدون وغيرها كثير.

عدد كبير من التلاميذ من فيهم المتفوقون ما يشكل ظاهرة تسترعي انتباه العديد من الأساتذة والمعلمين. وفي هذا المجال تقول إحدى التلميذات من المرحلة الثانوية: "اليأس مازال مسيطراً علينا، ولم نعد نهتم كثيراً بالدرس. كأننا خائفون أو ننتظر حرباً جديدة". وما بدا غير مألوف في كثير من المدارس تراجع مستوى مشاركة التلامذة داخل الصف، وضعف تركيزهم إلا على موضوعات محددة تتعلق بالحرب والجدوى من الدراسة والعلم خصوصاً في المرحلتين المتوسطة والثانوية. وللتأكد من طبيعة الانعكاسات الدراسية للحرب قمنا باستطلاع آراء مجموعة لأبأس بها من مديري ومعلمي المدارس الرسمية الثانوية، فضلاً عن أساتذة في كلية التربية في الجامعة اللبنانية. وقد شملت العينة المختارة عشرين مدير مدرسة ثانوية رسمية، وثلاثين معلماً في مناطق الضاحية الجنوبية لبيروت و بعلبك والهمل وجنوب لبنان. أما أساتذة كلية التربية في الجامعة اللبنانية المستفتون فقد بلغ عددهم ٢٤ أستاذاً من مختلف التخصصات الدراسية. اقتصرنا بنود الاستبانة المستخدمة على أربعة أسئلة أساسية تتمحور حول المواد والمقررات الدراسية التي تأثر تحصيل التلامذة فيها بالحرب أو هو لم يتأثر. أما السؤال الأخير فهو يتعلق بكيفية تأثير الحرب وتداعياتها على المتعلمين والتعليم بوجه عام. وبعد تحليل الإجابات عن أسئلة الاستبانة جاءت النتائج وفق ما يأتي:

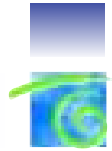
أ- بالنسبة للسؤال الأول حول وجود تراجع في التحصيل الدراسي للتلميذ اللبناني عقب حرب تموز ٢٠٠٦ لاحظ أغلب المديرين والمعلمين الثانويين وجود تراجع دراسي وقالت الغالبية العظمى من أساتذة الجامعة بذلك كما يظهر من الجدول الآتي:

جدول رقم ١: توزيع الإجابات حول وجود تراجع في التحصيل الدراسي للتلميذ اللبناني

في الجامعة (٢٤ استبانة)								في المدرسة الثانوية (٥٠ استبانة)							
المجموع		حصل تراجع قليل		لم يحصل تراجع		حصل تراجع		المجموع		حصل تراجع قليل		لم يحصل تراجع		حصل تراجع	
عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
١٠٠	٢٤	-	-	٨	٢	٩٢	٢٢	١٠٠	٥٠	١٦	٨	٨	٤	٧٦	٣٨
%				%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%

يشير الجدول الأول إلى أن غالبية مديري ومعلمي المدارس الثانوية في العينة يقرون بوجود تراجع دراسي ملحوظ (٧٦٪). تضاف إليهم نسبة ١٦٪ ممن لاحظوا تراجعاً قليلاً في التحصيل التعليمي. أما أساتذة الجامعة فقد أقرت أغلبية ساحقة منهم (٩٢٪) بوجود تراجع في مستوى التحصيل الدراسي للطلاب.

ب- بالنسبة للسؤال الثاني حول ربط التراجع الدراسي بالحرب، أظهرت النتائج أن ٧٢٪ من مديري المدارس الثانوية الرسمية ومعلميها عزوا التراجع إلى حالة الحرب، بينما قال ٢٠٪ منهم إن التراجع التحصيلي يرجع إلى الخلافات السياسية الحادة التي أعقبت حرب تموز ٢٠٠٦ الماضية، وأفاد ٨٪ فقط إنه لا يوجد تراجع أساساً، وليس للحرب من أثر على التحصيل الدراسي تبعاً لذلك. أما في الجامعة فكان الربط بين تراجع التحصيل والحرب أعلى مما هي عليه الحال في التعليم الثانوي ووصل إلى ٨٣٪ من الأساتذة الجامعيين مقابل ٨٪ ممن ربطوا التراجع بالخلاف السياسي الداخلي التالي للحرب، و٨٪ ممن قالوا إنه لا يوجد تراجع دراسي أصلاً وإن الحرب لم تفض إلى انعكاسات سلبية كما يظهر ذلك في الجدول الآتي:



جدول رقم ٢: توزيع الإجابات حول مدى ارتباط التراجع الدراسي بالحرب وما تلاها من أزمة سياسية

في الجامعة				في المدرسة الثانوية					
المجموع	لا يوجد تراجع		التراجع هو السبب		المجموع	لا يوجد تراجع		التراجع هو السبب	
	عدد	%	عدد	%		عدد	%	عدد	%
١٠٠	٢٤	٨%	٢	٨%	١٠٠	٥٠	٨%	٤	١٠%

ج- بالنسبة للسؤال الثالث حول المواد الدراسية التي حصل تراجع في تحصيلها قال حوالي نصف المديرين والمعلمين الثانويين إن التراجع طاول المواد الدراسية كافة، مقابل الثلث ممن قالوا بذلك في المستوى الجامعي. وجاءت خريطة التراجع في تحصيل المواد الدراسية، مجتمعة ومنفردة، وفق ما يلي:

جدول رقم ٣: توزيع الإجابات بشأن التراجع في تحصيل المواد والمقررات الدراسية عقب الحرب

المواد	كل المواد	علوم و رياضيات	لغة عربية	لغة أجنبية	اجتماعيات	ابحاث	معلوماتية	مواد تطبيقية	غير مدرجة	لا تراجع	المجموع
المرحلة الثانوية (٥٠)	٢٦	٤	٦	٤	٤	-	-	-	٢	٤	٥٠
	%٥٢	%٨	%١٢	%٨	%٨	-	-	-	%٤	%٨	%١٠٠
الجامعة (٥٠)	٨	٢	٢	-	٢	٤	٢	٢	-	٢	٢٤
	%٣٣,٣	%٨,٣	%٨,٣	-	%٨,٣	%١٧	%٨,٣	%٨,٣	-	%٨,٣	%١٠٠

يتبين من الجدول الثالث أن نصف المديرين والمعلمين يرون أنه حصل تراجع في كل المواد الدراسية في التعليم الثانوي بينما قال ٨٪ منهم إنه لا يوجد تراجع في مستوى التحصيل، وقال ١٢٪ إن التراجع طال تحصيل التلاميذ في اللغة العربية و آدابها مقابل ٨٪ ممن لاحظوا تراجعاً في مواد العلوم والرياضيات ثم في اللغة الأجنبية والاجتماعيات.



مدرسة الطيبة الابتدائية - قضاء مرجعيون.

أما في المستوى الجامعي فقد كان تحديد المقررات الدراسية التي تأثر التحصيل فيها أكثر تفصيلاً، واقتصر الحديث على الأثر السلبي الذي طاول المقررات كافة على حوالى ثلث أفراد العينة الجامعية. وأكثر الجوانب تأثراً كانت الأبحاث العلمية المرتبطة بهذا المقرر الدراسي أو ذلك (١٧٪ من أفراد العينة تحدثوا عن ذلك) لتأتي بعد ذلك سلسلة مقررات شهدت تراجعاً في تحصيلها عند ٨,٣٪ من الأساتذة المستفتين وهي تبعاً لمقررات العلوم والرياضيات، واللغة العربية، والاجتماعيات، والمعلوماتية، والمواد التطبيقية، بينما قال ٨,٣٪ من أفراد العينة الجامعية إنه لم يحصل تراجع في تحصيل الطلاب في أي مقرر دراسي.

د- بالنسبة للسؤال الرابع عن كيفية تأثير الحرب وتداعياتها الداخلية

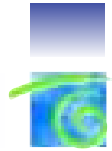
على تلامذة المدرسة الرسمية الثانوية وطلاب الجامعة في لبنان جاءت ردود المديرين والمعلمين والأساتذة وفق ما يظهره الجدول الآتي:

جدول رقم ٤: كيفية تأثير الحرب وتداعياتها الداخلية على شخصية التلميذ اللبناني وسلوكه في المدرسة

التغيرات في الشخصية الكلية	عدم اهتمام بالعلم	عدم اهتمام بالعلم	خوف من فقدان الثقة	مشاكل نفسية	خوف من فقدان الثقة	انقطاع طرق الدراسة	خوف من حرب جديدة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة
٣٢	١٩	١٨	٩	٧	٣	٢	٢	٢	٢	٢	١	١٠٥	
التغيرات في الشخصية الكلية	عدم اهتمام بالعلم	خوف من فقدان الثقة	مشاكل نفسية	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	خوف من فقدان الثقة	
٢٤	٩	٨	٧	٥	٣	٣	٢	٢	٢	٢	٢	٦٧	

يتبين من الجدول الرابع أن هنالك إجماعاً بين مديري ومعلمي الثانويات الرسمية في لبنان على وجود تأثيرات سلبية على شخصية التلميذ وسلوكه المدرسي بعد حرب تموز ٢٠٠٦ وما تبعها من أزمة داخلية مفتوحة. فلم يتواتر الحديث عن تأثير إيجابي لهذه الحرب سوى مرتين<sup>(١)</sup> يضاف إليهما حديث عن عدم وجود آثار سلبية للحرب، تكرر مرتين أيضاً. وأكثر ما لاحظته المديرون والمعلمون في الثانويات الرسمية كان الميل للفوضى والسلوك غير المنضبط عند التلاميذ (٣٢ مرة) يليها عدم الاهتمام بالدراسة والعلم (١٩ مرة) ثم المشكلات النفسية للتلاميذ (٩ مرات). بعد ذلك يبرز الاعتقاد بأن الدراسة يمكن أن تتوقف أو أنه سوف يتم إلغاء الامتحانات (٧ مرات)، تلي ذلك حالة فقدان الثقة بالدولة والوطن (٦ مرات) ثم التغييب والتسرب المدرسي أثناء العام الدراسي (٣ مرات) وصولاً إلى حالة الخوف من وقوع حرب جديدة، وحالة الخوف من وقوع الأهل في البطالة بسبب الحرب، وحالة التوتر بين التلامذة في المدرسة (مرتان لكل حالة) مع إشارة يتيمة إلى خطر الهجرة وترك البلد.

وفي الجامعة اللبنانية تنصدر حالة الخوف والقلق على المستقبل قائمة التأثيرات السلبية للحرب على الطلاب (تتكرر هذه الحالة ٢٤ مرة) بينما لم يظهر القول بعدم وجود أثر سببي للحرب على سلوك التلامذة سوى مرتين فقط، ولم يقل أحد من الأساتذة أن هنالك آثاراً إيجابية



الرسمية أكثر من المدرسة الخاصة بوجه عام. ولكن ثمة فروقات أيضاً بين مدرسة رسمية وأخرى في احتواء مفاعيل الحرب، والشيء نفسه يقال عن فروقات كبيرة بين مدرسة خاصة وأخرى في التعامل مع هذه المفاعيل.

وعلى سبيل المثال فإن مدارس جمعية المبرات الخيرية بادرت إلى التعامل مع الانعكاسات السلبية لحرب تموز ٢٠٠٦ على تلاميذها ومعلميها، ما إن وضعت الحرب أوزارها، ونجحت الجمعية في توفير دعم نفسي - تربوي مناسب للمعلمين العاملين في مدارسها كافة، ثم قدمت هذا الدعم لتلاميذها بالتعاون مع اليونسيف واليونسكو خصوصاً. إن هذه الفروقات بين مدرسة وأخرى ترجع أساساً إلى إدارة المدرسة ومستوى المعلمين والإمكانيات المادية المتاحة للمدرسة. لذلك كله فإن الانعكاسات التربوية للحرب قليلة أو شبه معدومة في بعض المدارس، بينما هي كبيرة في مدارس أخرى.

٢- ثمة ميل لدى الأحزاب اللبنانية إلى التحرك في المدرسة الرسمية والجامعة اللبنانية والقيام بإضرابات ومظاهرات وندوات في قطاع التعليم الرسمي، بينما تحرص هذه الأحزاب على تجنيب المدارس والجامعات التابعة لها، تبعات أي تحرك سياسي.

٣- كلما ابتعدنا عن حقبة الحرب الساخنة يميل عموم الناس إلى نسيان جراحات الحرب وأضرارها، بينما يعمد السياسيون المحترفون إلى تناسي تلك الجراحات التي لحقت بالمتجمع. أما العائلات والأفراد الذين اکتوتوا بنار الحرب وما استولدته



هكذا بدت مدرسة بنت جبيل بعد العدوان.

للحرب على التلاميذ. بعد قلق المستقبل تبرز حالة عدم الاهتمام بالدراسة والعلم (٩ مرات) تليها حالة الفوضى والسلوك غير المنضبط (٨ مرات) ثم المشكلات النفسية (٧ مرات) وحالات التغيب والتسرب (٥ مرات). وفي المرتبة السادسة داخل قائمة ردود الأسماء نجد قلة التركيز في الصف (٣ مرات) ثم ازدهار الشائعات والميل إلى تصديقها (٣ مرات أيضاً). بعد ذلك تظهر حالات الاهتمام المفرط بالسياسة داخل الجامعة، ثم التوتر بين الطلاب، وصولاً إلى موضوع الهجرة إلى خارج لبنان وذلك بتواتر يبلغ مرتين في كل حالة.

لقد طاولت التأثيرات السلبية للحرب تحصيل التلاميذ اللبنانيين وسلوكهم معاً. وتشير المعطيات التي تضمنتها الجداول الأربعة الواردة في هذه الدراسة إلى أن الحرب قد تركت بصماتها على التلميذ اللبناني رغم أنه من المتوقع أن يتراجع التأثير النفسي والتربوي للحرب مع مرور الوقت ومع عودة الهدوء والاستقرار إلى لبنان. ولكن إذا لم يسترجع اللبنانيون حياتهم الطبيعية بعد التوتر السياسي الداخلي الذي جاء متصلاً بالحرب وتداعياتها، فإن الضغوط النفسية عليهم سوف تزداد وقد تتحول عندهم إلى حالات مزمنة وكأنهم ما يزالون في حالة حرب مستمرة. فالخوف من الفتنة والحروب الداخلية لا يقل خطورة عن الخوف من الحرب الخارجية، وهو يؤدي إلى قلق مصيري وجودي شامل. ومع أن الجهود التي جرت لاحتواء الصدمة النفسية للحرب كانت كبيرة وفعالة في كثير من الحالات فإن معظم هذه الجهود توقفت مع بداية ٢٠٠٧، بينما تزداد الحاجة إلى تفعيل جدي لدور جهاز التوجيه التربوي والإرشاد النفسي في وزارة التربية والتعليم بحيث تتولى عناصره عمليات تدريب المعلمين على اكتشاف الحالات النفسية الصعبة وحالات التعثر الدراسي في المدارس تمهيداً لتحويلها إلى مراكز العلاج أو معالجتها على يد المرشدين النفسيين والتربويين أنفسهم.

وفي ختام هذه المقالة الخاصة بالتأثيرات التربوية والنفسية لحرب تموز ٢٠٠٦ الماضية، يهمننا إيراد الملاحظات المنهجية الآتية حول الموضوع المطروح، توكيلاً للموضوعية والأمانة في معالجة مسألة الحرب ومفاعيلها:

١- أن حجم العينة الخاصة بالاستبانة المستخدمة من الدراسة لا يسمح بالقول إن كل المدارس الرسمية والخاصة في لبنان تعاني، وبالدرجة نفسها، من تداعيات الحرب الأخيرة. فمن الملاحظ أن التأثير السلبي للحرب يظهر في المدرسة

الحرب بالرغم من الخطاب الرائج عن أن اللبنانيين كلهم "أبطال" ولا تهز الحروب مشاعرهم مهما تكن الظروف والأحوال.

في هذا السياق كثيراً ما يستغرب أصحاب الخطاب الإيديولوجي أن يكون مئات الأطفال والمراهقين واللبنانيين عموماً قد عانوا نفسياً من الحرب ومصائبها على أساس أن اللبناني لا يهاب الموت! وهذه التصورات ليست في الحقيقة سوى أوهم أيديولوجية يتم إسقاطها على الناس من عل. أما في الواقع فإن الناس يتألمون ويعانون في السر، إن لم يعانون

في العلن. وكما أن الطبيب وحده هو الذي يعالج المشكلات الصحية للفرد، فإن الأخصائي النفسي وحده هو الذي يجب أن يتعامل مع المشكلات النفسية لهذا الفرد أو ذاك.

لقد كان العام الدراسي المنصرم (٢٠٠٦-٢٠٠٧) عاماً للتحصيل الدراسي المنخفض في التعليم الرسمي اللبناني قد يؤسس لسنوات دراسية عجاف مقبلة علينا ما لم يتم تدارك الأمور والخروج من الأزمة التي يعاني منها لبنان في وقت قريب ■



ما تبقى من ملعب مدرسة كونين الرسمية.

من أزمة سياسية مستعصية، فإنهم يغالبون معاناتهم النفسية بحسب الظروف المحيطة بهم: بعضهم يحصل على الرعاية والتضامن والدعم النفسي، وبعضهم الآخر لا يجد من يعترف بمأساته ومعاناته النفسية أصلاً.

٤- إن التأثيرات النفسية والتربوية للحروب تظهر بوضوح أحياناً، وقد تحتاج إلى ملاحظة دقيقة لاكتشافها في أحيان أخرى. فسكوت الولد وهدوءه لا يعني أنه بعيد عن صدمة

### هوامش:

- (١) راجع في هذا الصدد جريدة السفير عدد ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠٦.
- (٢) هذا المثال مأخوذ من "برنامج التدخل النفسي - التربوي لمعالجة آثار الحرب عند الأطفال"، وهي دراسة من إعداد اليونيسيف وجمعية المبرات الخيرية صدرت عقب حرب تموز ٢٠٠٦.
- (٣) إن فكرة الشهادة دفاعاً عن الوطن أو الأرض يمكن أن تعزز القدرة على مواجهة مخاطر الحروب. وقد أظهرت أطروحة للدكتورة فاطمة هاشم عن الأطفال والحرب الأهلية في لبنان (نوقشت في جامعة مونيبييه في فرنسا سنة ١٩٨٣) أن القدرة على مواجهة صدمة الحرب في بيئة تسودها حالة إيمانية دينية هي أعلى من نظيرتها في البيئات الأخرى.
- (٤) من المنطقي الافتراض أنه توجد في الظروف الراهنة نسبة لا بأس بها من الأهل لم تعد قادرة، بسبب تفاقم الأزمة الاقتصادية في الحرب وما بعدها، على دفع الأقساط المدرسية لأولادهم ما يربك التلميذ نفسياً ولا يوفر له جواً من الاستقرار التعليمي.
- (٥) تتأثر المدارس الرسمية بالحرب، وما يتبعها من توتر سياسي داخلي وتحركات في الشارع، أكثر مما تتأثر المدارس الخاصة بذلك. وداخل القطاع الخاص، من المرجح أن تكون المدارس الخاصة الراقية أكثر قدرة على استيعاب الانعكاسات المدرسية السلبية للحرب من المدارس الخاصة الأقل مستوى.
- (٦) إن عدد الإجابات عن السؤال الرابع مفتوح لأن كل أستاذ يمكن أن يورد أكثر من تأثير واحد للحرب وتداعياتها، ولذلك فإن عدد الإجابات كان ضعف عدد الأساتذة المستفتين تقريباً.